التوبة وشروطها وممن تقبل ومتى؟

أ.د/ سليمان بن إبراهيم اللاحم

مصدر هذه المادة :






الإهـــــداء

أهدى هذه السلسلة المباركة لجميع المسلمين، وبخاصة طـــلاب العلم الشرعي، وأخصُّ منهم أهل القرآن الـــذين هـــم أهـــل الله وخاصته، وكلُّ من يُنشد السعادة ويستلهم الرُّشد والهدايـــة مـــن كتاب الله عزَّ وجل.

والله أسأل أن يعمَّ بنفعه، وأن يضاعف أجـــره لي ولوالـــديَّ ووالديهم، ولكلٍّ من استفدت منهم من علماء المسلمين في التفسير وغيره، وكل من كان عونًا لي، ولو بالتشجيع على هذا العمل، وأن يُبارك في ثوابه لأهلي وأولادي وإخواني وأخواتي وجميـــع أقـــاربي وجيراني، ومن أحبَّني في الله، ومـــن أحببتـــه في الله، ومشـــائخي وزملائي وطلابي، وجميع إخواني المسلمين، فإنَّ فضله عـــزَّ وجـــل عظيم، وكرمه واسع، وجوده عميم.

أخي الكريم، هذا من العمل جَهْدُ المقل، ولا يخلو من تقصـــير، كغيره من أعمال البشر، وكما قيل:

وَمَن ذَا الَّذِي تُرضِي سَـــجَايَاهُ كفى المرءَ نُبلاً أن تُعَدُّ معايبـــه

المؤلـــف

القصيم – بريدة

ص.ب ٣٣٤٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الجواد الكريم البرّ الرءوف الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمـــد ﷺ وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ الله عزَّ وجل خلق الإنسان وفطره على الإيمان ومنحه من السمع والبصر والعقل ما ميَّزه به عن سائر الحيـــوان، و لم يجعلـــه معصومًا عن الزَّلل والخطأ والعصيان، بل ابتلاه بما قـــد يُوقعـــه في المخالفة والعصيان: من النفس الأمَّارة بالسوء والهـــوى، ومكائـــد الشيطان؛ لهذا فتح له باب التوبة لتمحيص الذنوب والآثام، فقـــال عزَّ وجل:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُـــوا مِـــنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الـــرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَـــا تُنْصَرُونَ﴾[1]،

وقال عزَّ وجل: **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى * وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾**[2].

«يبسط الله يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، ويبسط يده بالليل

---

[1] سورة الزمر، الآيتان : ٥٣، ٥٤.

[2] سورة طه، آية : ٨٢.

ليتوب مُسيء النهار»[١]، يُوفِّق عبده للتوبة ويقبلها منه، كما قـــال عزَّ وجل في سورة التوبة:

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [٢] أي: وفَّقهم للتوبة ليتوبوا..

وقال عزَّ وجل: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾**[٣].

ويفرح عزَّ وجل بتوبة عبده فرحًا أشدّ من فرح من ضلَّت عنه راحلته التي عليها طعامه وشرابه، فلما أيس منها نام تحت شـــجرة ينتظر الموت، فبينما هو كذلك إذا هي واقفة بين يديه ولجامهـــا في يده[٤].

بل إنه عزَّ وجل وهو الخالق الملك المدبِّر المنعم المتفضِّل، الذي لا يجب عليه شيء لخلقه، أوجب على نفسه التوبة تفضُّـــلاً منـــه وكرمًا وامتنانًا، فقال عزَّ وجل في سورة النساء: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾**[٥].

وإذا صدق العبد ربَّه بالتوبة والإنابة إليه سبحانه تاب عليه، بل وبدَّل سيئاته حسنات كما قال عزّ وجل: **﴿إِلَّا مَنْ تَـــابَ وَآمَـــنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَـــانَ**

---

[١] سيأتي تخريجه.
[٢] سورة التوبة، آية : ١١٨.
[٣] سورة الشورى : آية : ٢٥
[٤] سيأتي تخريجه.
[٥] سورة النساء : آية : ١٧.

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١].

لله الحمد والمنَّة على فضله وكرمه ولُطفه ورحمته وجميل عفوه.

وسأتناول في هذا البحث الكلام عن التوبة وشروطها، وممـــن تُقبل؟ ومتى؟ وذلك من خلال الكلام على قوله تعـــالى في ســـورة النساء:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَـــةٍ ثُـــمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّـــهُ عَلِيمًـــا حَكِيمًا﴾ إلى قوله: **﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**.

وسأتكلَّم أولاً عن تفسير هاتَين الآيـــتين وبيـــان مفرداهمـــا ومعناهما، ثم أُتبع ذلك باستنباط ما فيهما من الفوائد والأحكام، مع تفصيل القول في ذلك.

والله أسأل أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وصـــلَّى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المـــــؤلف

---

[١] سورة الفرقان، آية : ١٧.

التوبة وشروطها، وممَّن تقبل؟ ومتى؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

صلة الآية بما قبلها:

لما بيَّن الله ﷻ في الآية السابقة أنه يقبل التوبة ممن تاب وأناب إليه في قوله:
﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾..

بين في هذه الآية من تُقبل منهم التوبة، وهم الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب.

معاني المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، وكقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

---

[١] سورة النحل، آية : ١١٩.

[٢] سورة الأنعام، آية : ٥٤.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾..

إنما: أداة حصر[١]، ويقال لها: كافة ومكفوفة.

لأن "ما" دخلت على "إنَّ" التي تنصب الاسم وترفع الخـــبر، فكفتها عن العمل، فــ"ما" كافة، و"إنَّ" مكفوفة.

التوبة: مبتدأ مرفوع.

على الله: "على" حرف جار، ولفظ الجلالة مجـــرور متعلِّـــق بمحذوف خبر، تقديره: مُستحقَّة على الله، أو واجبة على الله.

الذين: مُتعلِّق بما تعلَّق به "على الله"[٢]، ويُحتمل أن يكون هو الخبر.

والتوبة من الله تنقسم إلى قسمين:

الأول- توفيقه لعبده أن يتوب:

كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُـــوا**﴾[٣]، أي: وفَّقهـــم للتوبة ليتوبوا[٤].

والثاني- قبولها منه:

كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾[٥]..

---

[١] انظر "المحرر الوجيز" ٤/ ٥١. والحصر هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه.

[٢] انظر "المحيط" ٣/ ١٩٨.

[٣] سورة التوبة، آية : ١١٨.

[٤] انظر "مدارج السالكين" ١/ ٣٤٩-٣٥٠.

[٥] سورة الشورى، آية : ٢٥.

وقال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُـــمَّ اهْتَدَى**﴾[١]..

ويجمعها قوله تعالى: ﴿**وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[٢].

وهي من العبد: الرجوع والإنابة إلى الله ﷻ، والإخلاص له مع الإقلاع عن المعصية والندم على فعلها، والعزم على عـــدم العـــودة إليها، وأن تكون في وقتها المناسب[٣].

ومعنى ﴿**عَلَى اللَّهِ**﴾ أي: التزَمَ بها عزَّ وجـــلَّ وأجبـــها علـــى نفسه[٤]، تَفضُّلاً منه ورحمةً ومنَّةً وكرمًا[٥].

كما قال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْـــدِهِ وَأَصْـــلَحَ فَأَنَّـــهُ غَفُـــورٌ رَحِيمٌ**﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّـــذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٧].

---

[١] سورة طه، آية : ٨٢.
[٢] سورة البقرة، آية : ١٦٠.
[٣] انظر "مدارج السالكين" ١/ ٣٤٢-٣٤٣.
وسيأتي تفصيل هذا في الكلام على الأحكام.
[٤] انظر "الجامع لأحكام القرآن" ٥ /٩١، "بدائع الفوائد" ٢/ ١٦١-١٦٢.
[٥] انظر "التفسير الكبير" ١٠/ ٦.
[٦] سورة الأنعام، آية : ٥٤.
[٧] سورة الأعراف، آية : ١٥٦.

وقال سبحانه في الحديث القدسي: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»، وفي رواية «**سبقت غضبي**»[١].

قوله ﴿**يَعمَلُونَ السُّوءِ**﴾ صلة الموصول "الذين" أي: يعملـــون العمل السيئ القبيح الذي يسوء صاحبه، وربما يسوء غيره إذا كان مما يتعدَّى إلى الغير.

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْـآخِرَةِ لِيَسُـوءُوا وُجُـوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّـرُوا مَـا عَلَـوْا تَتْبِيرًا**﴾[٢].

والمعنى: يعملون الأعمال السيئة من ترك الواجبـــات وفعـــل المحظورات، فهو عام لجميع المعاصي[٣]؛ لأنَّ المعاصي كلَّها تســـوء مرتكبها وتسوء غيره.

تسوء مرتكبها عاجلاً بظهور آثارها عليه في حياته ظُلمـــة في الوجه وضيقًا في الصدر والخلق والرزق[٤]، فيفقد من الســـعادة، في الحياة بقدر ما عمل من السوء .. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّـهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَـلْ صَـدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾[٥].

---

[١] أخرجه البخاري في التوحيد ٧٤٠٤، ومسلم في التوبة ٢٧٥١، والترمذي في الـــدعوات ٣٥٤٣، وابن ماجة في المقدمة ١٨٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] سورة الإسراء، آية : ٧.

[٣] انظر "الجامع لأحكام القرآن" ٥/ ٩٢

[٤] وبضد ذلك الطاعة فهي نور في الوجه وسعة في الصدر والخلق والرزق.

[٥] سورة الأنعام، آية : ١٢٥.

وقال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[١].

وتسوؤه آجلاً بعد مماته بمعاقبته عليها إن لم يتُب منها أو يتداركه الله بعفوه.

وهي أيضًا تسوء غيره، إمَّا بتعدِّيها إلى الغير مباشرة كالإساءة إليهم بالأذية لهم في دينهم أو أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم أو غير ذلك.

وإمَّا بتأثيرها على حياتهم بما تُسبِّبه هذه الأعمال السيئة من مَحق البركات وقلَّة الخيرات، قال تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[٢].

وفي الحديث: «**ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»[٣].

وإنما أفرد السوء – والله أعلم – إشارة إلى أنَّ الأولى بالتوفيق للتوبة وقبولها يكون ممن لم يُكثر من الأعمال السيئة.

---

[١] سورة الزمر، آية : ٢٢.

[٢] سورة الروم، آية : ٤١.

[٣] أخرجه ابن ماجة في الفتن ٤٠١٩ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وحسنه الألباني. انظر "الأحاديث الصحيحة" حديث ١٠٦ "صحيح سنن ابن ماجة" حديث ٣٢٤٦.

قوله ﴿**بِجَهَالَةٍ**﴾ جار ومجرور، مُتعلِّق بمحذوف وقع حــالاً[1]، أي: حال كونهم جاهلين.

فهو قيدٌ لقوله ﴿**إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ**﴾، أي: لمن يعملون ذلك بجهالة.

والباء في قوله ﴿**بِجَهَالَةٍ**﴾ للمصاحبة أو للسببيَّة، أي: مصحوبين بالجهالة، أو بسبب الجهالة[2].

ومعنى ﴿**بِجَهَالَةٍ**﴾ بسفاهة[3]، ثم يرشدون، كما قـــال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» الحديث[4]، أي أنَّ إيمانه يضعف عند ارتكابه لهذه الفاحشة، فكذا من عمل أيَّ معصية، فإنه في حال ارتكابه المعصية يرتفع أو يضعف عنده الرشد ويصير سفيهًا.

ولهذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم على أنَّ كلَّ ذنبٍ عُصـــي الله به فهو جهالة، عمدًا كان أو جهلاً[5].

---

[1] انظر "الكشاف" ١/ ٢٥٦-٢٥٧، "مدارك التنزيل" ١/ ٣٠١، "البحر المحيط" ٣/ ١٩٧. "الدرر المصون" ٣٣٢/٢.

[2] انظر "البحر المحيط" ٣/ ١٩٧.

[3] انظر "المحرر الوجيز" ٤/ ٥٣، "الكشاف" ١/ ٢٥٧، "التسهيل لعلوم التنزيـــل" ص١٣٤، "تفسير المنار" ٤/ ٤٤٠-٤٤٢.

[4] أخرجه البخاري في المظالم والغصب ٢٤٧٥، ومسلم في الإيمان ٥٧، وأبو داود في السنة ٤٦٨٩، والنسائي في قطع السارق ٤٨٧٠، والترمذي في الإيمان ٢٦٢٥، وابن ماجة في الفتن ٣٩٣٦، والدارمي في الأشربة ٢١٠٦ – من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] انظر "جامع البيان" ٨/ ٨٩-٩٠، "النكت والعيون" ١/ ٣٧٢، "المحرر الوجيز" ٤/ ٥٣، "الجامع لأحكام القرآن" ٥/ ٩٢، "دقائق التفسير" ٢/ ٣٨٧، "شفاء العليـــل" ١٧١-١٧٢، "بدائع التفسير" ٢/ ١١-١٢، "البحر المحيط" ٣/ ١٩٧، "تفسير ابن كـــثير" ٢/ ٢٠٥-٢٠٦.

وقال الطبري[١]: "عَملهم السُّوء هو الجهالة الـــتي جهلوهـــا" يقال: أتاه بجهالة، أي فَعَلَ فِعل الجهَّال". وكما قيل:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَـــنَّ أَحَـــدٌ عَلَيْنَـــــا
فَنَجْهَـــلُ فَـــوقَ جَهْـــلِ الجَاهِلِينَــــا[٢]

وليس المراد بـــ"الجهالة" الجهل ضد العلم؛ لأنَّ من يعمل السوء وهو جاهل غير عالم غير مؤاخذ، ولا ذنب له، بل هو معـــذور .. قال الله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٣].

وفي صحيح مسلم: «**قال الله: قد فعلت**»[٤].

وأمَّا الذي يجب عليه التوبة فهو من عمل السوء عالمًا.

قال ابن عطية[٥]: "وليس المعنى أن تكون الجهالة أنَّ ذلك الفعل معصية؛ لأنَّ المتعمِّد للذنوب كان يخرج من التوبة، وهـــذا فاســـد إجماعًا".

قوله: **﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾** أي: ثم بعد رشدهم وزوال السَّفه

---

[١] "في جامع البيان" ٨/ ٩١.

[٢] البيت لعمرو بن كلثوم وهو في ديوانه ص٩١ جمع وتحقيق إميل يعقوب طبعة دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩١.

[٣] سورة البقرة، آية : ٢٨٦.

[٤] أخرجه مسلم في الإيمان ١٢٦، والترمذي في التفسير ٢٩٩٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

[٥] في "المحرر الوجيز" ٤/ ٥٣، وانظر "تيسير الكريم الرحمن" ٢/ ٣٩.

عنهم يتوبون، أي: يرجعون إلى الله ويُنيبون إليه بترك العمل السيئ مع الندم على فعله والعزم على عدم العودة إليـــه والإخـــلاص لله تعالى.

قوله ﴿**مِن قَرِيب**﴾ من تبعيضية، أي: في وقت وحـــال تُقبـــل فيهما التوبة، وذلك قبل حضور الموت ومعاينة علاماته من حضور الملائكة وغلبة المرء على نفسه وبلوغ الرُّوح الحلقـــوم[1]؛ وذلـــك لقوله تعالى بعد هذه الآية:

﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّـــى إِذَا حَضَـــرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾[2].

ولقوله ﷺ: «**إنَّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[3].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الشـــيطان**

---

[1] انظر "جامع البيان" ٨/ ٩٦-٩٧، "المحرر الوجيز" ٤/ ٥٤، "الجامع لأحكام القـــرآن" ٥/ ١٩٢، "مدارج السالكين"١/ ٣١٧-٣٢٠، "بدائع التفســـير" ٢/ ١٢-١٣،"التفســـير الكبير" ١٠/٥، "البحر المحيط" ٣/ ١٩٩.

[2] سورة النساء، آية : ١٨.

وقيل معنى قوله : (من قريب) في الصحة قبل المرض، وقيل : في الحياة قبل المـــوت، وهمـــا ضعيفان، انظر "جامع البيان" ٨/ ٩٣-٩٥، "تفسير ابن كثير" ٢/ ٢٠٦.

[3] أخرجه من حديث ابن عمر الترمذي في الدعوات ٣٥٣٧، وابن ماجة في الزهد ٤٢٥٣، وأحمد ٢/ ١٣٢، وابن حبان في "موارد الظمآن" ٢٤٤٩، والحاكم وصححه ووافقـــه الذهبي ٢/ ٢٤٩ وصححه أحمد شاكر في المسند ٦١٦٠، والألباني في "صحيح الجـــامع الصغير" ١/ ٣٨٦، "مشكاة المصابيح" الحديث ٢٣٤٣. وأخرجه ابن مردويه من حديث أبي هريرة فيما ذكر ابن كثير في "تفسيره" ٢/ ٢٠٧.

ومعنى : "ما لم يغرغر" ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به وانظـــر "الجامع لأحكام القرآن" ٥/ ٩٢.

قال: وعزَّتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. قال الربُّ عزَّ وجل: "وعزَّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»[١].

وقوله ﴿**مِن قَرِيب**﴾ فيه إشارة إلى أنَّ الأجل آت، وكلُّ آتٍ قريب، وفيه أيضًا تنبيهٌ على أنَّ مدَّة عُمر الإنسان وإن طالت فهي قصيرة[٢].

فلابدَّ إذًا أن تكون التوبة في حال يعقل فيها المرء معنى التوبة، ويصح منه الندم على فعل السوء والعزم على عدم العودة إليه[٣].

ولقد أحسن محمود الورَّاق في قوله:

قَدِّم لِنَفْسِكَ تَوْبَةً مَرْجُوَّةً
قَبْلَ المَمَاتِ وَقَبْلَ حَبْسِ الألسُنِ
بَادِرْ بِهَا غَلْقَ النُّفُوسِ فَإِنَّهَا
ذُخْرٌ وَغُنمٌ لِلمُنِيبِ المُحْسِنِ[٤]

ويدخل تحت الآية أيضًا قول من قال: ﴿**ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيب**﴾، أي: عن قريب عهدٍ بالمعصية من غير إصرارٍ عليها[٥]؛ لأنَّ

[١] أخرجه أحمد ٣/ ٢٩، وأبو يعلى ٢/ ٤٥٨، والحاكم في "المستدرك" ٤/ ٢٩٠ حديث ٧٦٧٢. وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٤.

[٢] انظر "التفسير الكبير" ١٠/ ٥.

[٣] انظر "جامع البيان" ٨/ ٩٦-٩٧، "الجامع لأحكام القرآن" ٥/ ٩٢.

[٤] انظر "ديوانه" ص١٥٢، "الجامع لأحكام القرآن" ٥/ ٩٢.

[٥] وتكون "من" في قوله "من قريب"، لابتداء الغاية أ] تكون التوبة من زمان قريب من المعصية انظر "التفسير الكبير" ١٠/ ٥، "البحر المحيط" ٣/ ١٩٨.

من استمرَّ على المعصية وأصرَّ عليها قد تعسر عليه التوبة، وقـــد لا يُوفَّق لأسبابها، وقد تحول ذنوبه ومعاصيه بينه وبين التوبة، كما قال تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١]..

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢]..

وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِـــهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣].

وإذا كانت التوبة تُقبل قبل حضور الموت ولو بـــزمنٍ قليـــلٍ فقَبولها قبله من باب أولى[٤].

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

الفاء: عاطفة.

أولئك: إشارة للَّذين يعملون السوء بجهالـــة ثم يتوبـــون مـــن قريب.

وأشار إليهم بإشارة البعيد "أولئك" إشارةً إلى علوِّ منـــــزلتهم بالتوبة.

و﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ، وخبره جملة ﴿يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِم﴾.

---

[١] سورة المطففين، آية : ١٤.

[٢] سورة الصف، آية : ٥.

[٣] سورة الأنعام، آية : ١١٠.

[٤] انظر "البحر المحيط" ٣/ ١٩٨، التفسير المنار" ٤٤٠-٤٤١.

وهذه الجملة توكيد لِما قبلها، فقد حصر سبحانه التوبــة في الذين يعملون السوء بجهالة، ثم يتوبون من قريب، والتزم بذلك لهم، ثم أكَّده بقوله: ﴿**فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾، فهذا وعدٌ مــن الله بأن يفي لهم ويقبلها منهم بعد أن وفَّقهم إليها[١].

قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾.

كان: مُساوية الزمن، تُفيد تحقيق اتِّصاف اسمها وخبرها، أي أنه سبحانه مُتَّصف بالعلم والحكمة أزلاً وأبدًا.

عليمًا: خبر كان منصوب، وهو اسم من أسماء الله تعالى علـى وزن "فعيل"، صفة مُشبهة أو صيغة مبالغة، وهو مشتقٌّ من العِلـم، وهو إدراك الأشياء على ما هي عليه إدراكًا جازمًا.

أي أنه عزَّ وجل ذو علمٍ تامٍ كامل، كما قال كليمه موسـى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام عندما سُئل عــن القــرون الأولى.

﴿**قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى**﴾[٢]

فنفي عن ربِّه الضَّلال، وهو الجهل السابق، والنسـيان، وهـو الضَّلال اللاحق.

وعلمه عزَّ وجل واسع شامل للأشياء كلِّها في أطوارها الثلاثة: قبل الوجود، وبعد الوجود، وبعد العدم.

---

[١] انظر "جامع البيان" ٨/ ٩٨، "التفسير الكبير" ١٠/ ٦.

[٢] سورة طه، آية : ٥٢.

كما قال تعالى: ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـــدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾[١].

وقال تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَـــا حَبَّـــةٍ فِـــي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّـــا فِـــي كِتَـــابٍ مُبِينٍ**﴾[٣]، لا يعتري علمه شك ولا ظن، بل هو علم يقين.

حكيمًا: خبر ثان لكان، وهو اسم من أسماء الله، مُشتَقٌّ مـــن الحُكم والحِكمة، على وزن "فعيل" صفة مشبهة أو صيغة مبالغـــة، يدلُّ على أنه عزَّ وجل ذو الحكم التام وذو الحكمة التامة البالغة[٤].

له الحُكم بأقسامه الثلاثة: الحكم الكوني القـــدري، والحكـــم الشرعي، والحكم الجزائي، وله الحكمة بقسمَيها: الحكمة الغائيـــة، والحكمة الصورية[٥].

وقد ختم الله هذه الآية بقوله: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾.

---

[١] سورة الطلاق، آية : ١٢.

[٢] سورة الأنعام، آية : ٥٩.

[٣] سورة يونس، آية : ٦١.

[٤] انظر "مجموع الفتاوى" لابن تيمية ١٤/ ١٨٠.

[٥] انظر : "شرح ابن عيسى للنونية" لابن القيم ٢/ ٢٢٦، وراجع ما سبق في الكلام علـــى قوله تعالى بوصيكم الله في أولادكم الآية (١١) من هذه السورة.

بعد أن ذكر أنه التزم بقبول التوبة ممن عمل السوء بجهالـــة ثم تاب من قريب؛ وذلك ليُبيِّن أنَّ توبته على هؤلاء عن عِلمٍ وحكمة، فهو عزَّ وجل أعلم بمن يستحق التوبة ممن توفرت فيهم شروطها ممن لا يستحقها.

وهو سبحانه يُوفِّق للتوبة برحمته من اقتضت حِكمته توفيقه لها، ويخذل بعدله من اقتضت حكمته عدم توفيقه، فهو سبحانه حكيمٌ يضع الأمور مواضعها[1].

قال تعالى: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**.

صلة الآية بما قبلها:

حصر الله ﷻ في الآية السابقة التوبة في الذين يعملون الســـوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، ومفهوم هذه الآية أنَّ من عداهم ممـــن يستمرُّون على عمل السيئات حتى حضور الموت ليس لهم توبـــة، وقد صرَّح بهذا المفهوم في الآية الثانية توكيدًا لذلك، فقال تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّـــى إِذَا حَضَـــرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّـــارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

أي: لَمَّا بيَّن من تُقبل منهم التوبة أتبع ذلك ببيان من لا تُقبـــل

---

[1] انظر "جامع البيان" ٨/ ٩٨.

منهم التوبة[(١)].

معاني المفردات والجمل:

قوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ**﴾.

الواو: عاطفة.

و **لَيسَ**: نافية، وهي فعل ماض ناقص جامد.

التَّوْبَة: اسم ليس مرفوع بها.

قوله ﴿**لِلَّذِين**﴾ جار ومجرور مُتعلِّق بمحذوف خبر ليس.

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَات: الجملة صلة الموصول.

والسَّيئَات: جمع سيئة، ويُحتمَل أن يُراد بها جنس السـيئات، أي: يعملون جنس السيئات، ويُحتمل أن يُراد بها الجمع نفسه، أي: جميع السيئات، وجُمعت إشارة إلى أنَّ كثرتها وتراكمها سبب لعدم التوبة، والأول أولى وأشمل، والثاني هو ظاهر اللفـظ، وإذا كـان اللفظ محتملاً لهذا وهذا فالعموم أولى[(٢)].

قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْـتُ الْآنَ**﴾.

حَتَّى: لابتداء الغاية، وما بعدها غاية لما قبلها.

إِذَا: ظَرفية شرطية.

(١) انظر "التفسير الكبير" ١٠/ ٦.

(٢) انظر "تفسير المنار" ٤/ ٤٤٨.

حَضَر: فعل الشرط، وجوابه "**قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآن**".

والمَوْت: هو خروج الرُّوح عن البدن ومفارقتها لـــه، الـــذي كتبه الله على جميع الخلق .. قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَـــا فَـــانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾(١) ..

وقال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ (٢).

وقال جبريل للنبيِّ ﷺ: «**يا محمد، عش ما عشت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه**»(٣).

ومعنى قوله ﴿**حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَـــوْتُ**﴾ أي بحُضـــور أسبابه وعلاماته من رؤية الملائكة وغلبة المرء على نفســـه وبلـــوغ الرُّوح الحلقوم(٤).

قوله ﴿**قَالَ إِنِّي تُبتُ الآن**﴾.

أي: قال في هذه الحال حال حضور الموت واليأس من الحيـــاة

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٠.

(٣) أخرجه من حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه – الحـــاكم في "المســـتدرك" ٣٦٠/٤ حديث ٧٩٢١ وأبو نعيم في "الحلية" ٢٥٣/٣، والبيهقي في "شعب الإيمـــان" ٣٤٩/٧ حديث ١٠٥٤١، وأخرجه البيهقي أيضًا في "الشعب" ٣٤٨/٧ حديث ١٠٥٤٠ مـــن حديث جابر – رضي الله عنه – وأخرجه أيضًا أبو نعيم في "الحلية" ٢٠٢/٣ من حديث علي – رضي الله عنه – وصححه السيوطي في "الجامع الصغير" حديث ٨٩، وحسـنه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" حديث ٧٣، وفي الأحاديث الصـــحيحة حـــديث ٨٢٩.

(٤) انظر "جامع البيان" ٨/ ٩٨، "شرح صحيح مسلم" ١٦٤/١، "مدارك التنزيل" ٣٠٢/١، "تفسير بن كثير" ٢٠٨/٢.

"إني تبت الآن"، فهؤلاء لا تنفعهم التوبة في هذه الحـــال [(١)]؛ لأنَّ توبتهم توبة اضطرار لا اختيار، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِـــهِ بَنُـــو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِـــنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [(٢)].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَـــا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [(٣)] [(٤)].

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [(٥)].

قال الحافظ ابن كثير[(٦)]:

"فأما متى وقع الإياس من الحياة وعاين الملـــك، وحشـــرجت الرُّوح في الحلق وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم[(٧)]؛ فلا توبة مُتقبَّلة حينئذ، ولات حين منـــاص

---

(١) انظر "جامع البيان" ٩٨/٨، "الجامع لأحكام القرآن" ٩٣/٥.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٨٤، ٨٥

(٤) انظر "التفسير الكبير" ١٠/ ٦، ٧، "مدارج السالكين" ٣١٧/١-٣٢٠.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٦) في "تفسير" ٢/ ٢٠٨.

(٧) الغلاصم: جمع غلصمة وهي رأس الحلقوم، والموضع الناتيء في الحلق، وقيل هي اللحم بين الرأس والعنق. انظر "لسان العرب" مادة : "غلصم".

.. كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّـــهِ وَحْـــدَهُ**﴾ الآيتين، وكما حكم تعالى بعدم توبة أهل الأرض إذا عاينوا الشمس طالعة من مغربها، كما قال: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَـــعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْـــلُ أَوْ كَسَـــبَتْ فِـــي إِيمَانِهَـــا خَيْرًا**﴾"[1].

قوله تعالى: ﴿**وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾..

الواو: حرف عطف.

و"**لا**": زائدة من حيث الإعراب مؤكِّدة من حيث المعنى.

الَّذِين: اسم موصول معطوف على اسم الموصول الذي قبله في قوله: ﴿**لِلَّذِين يَعلَمُون**﴾ أي: وليست التوبة أيضًا للَّذين يموتون وهم كفار، أي: تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم مـــا زالـــوا علـــى الكفر[2].

وفي عطف هؤلاء على من سبقهم تيئيس لمن يحضرهم المـــوت وهم يعملون السيئات من قبول التوبة، فكما لا تُقبل التوبـــة ممـــن يموتون على الكفر لا تُقبل أيضًا ممن يحضرهم الموت وهم يعملـــون السيئات.

---

[1] سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

[2] وقيل المراد الذين يحضرهم الموت وهم كفار فلا تُقبل توبتهم في هذه الحال عند حضـــور الموت، والظاهر أنَّ هؤلاء يدخلون تحت قوله: ﴿**وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآن**﴾، فالمراد بهم الذين يموتون على الكفر .. انظر "المحرر الوجيز" ٥٧/٤، "الجامع لأحكام القرآن" ٥/ ٩٣.

والكفر في الأصل: الستر، ومنه يُقال للزَّارع كافر، لأنه يستر البذر في الأرض، قال تعالى: ﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾[١].

وهو نوعان: كُفر أكبر مُخرِج من المِلَّة مُوجِب للخلود في النار، وكُفرٌ أصغر لا يُخرِج من المِلَّة، وهو مُوجِب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اثنان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»[٢].

والكُفر الأكبر خمسة أنواع: كفر تكذيب وجحود، وكفر استنكار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق [٣].

والمراد بالتوبة بالنسبة للذين يموتون وهم كفار ندمهم بعد الموت وتقطع قلوبهم حسرات على تفريطهم أيام الحياة؛ لأنَّ من مات انقطع عمله، فلا توبة تُقبل منه ولا عمل؛ لأنَّ دار العمل هي الدنيا، أمَّا الآخرة فهي دار الجزاء .. قال تعالى:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾ [٤].

---

[١] سورة الحديد، آية: ٢٠.

[٢] أخرجه مسلم في الإيمان ٦٧.

[٣] انظر "مدارج السالكين" ١/ ٣٧٦-٣٧٩.

[٤] سورة محمد، آية: ٣٤.

قال ابن عطية[١]: "والإيمان للكافر ليس نفس توبته، وإنما ندمه على سالف كفره".

وقال ابن كثير[٢]: "يعني أنَّ الكافر إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه وتوبته، ولا يُقبل منه فدية ولو بملء الأرض".

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآَيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُـــمْ مَـــا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُـــوا عَنْـــهُ وَإِنَّهُـــمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِـــي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَـــرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [٤].

حتى قوله: ﴿**أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾:

الإشارة للذين يموتون وهم كفار[٥]؛ لأنَّ عذابهم مُحقَّق، أمَّـــا من مات على ما دون الكفر فهو تحت مشـــيئة الله؛ إن شـــاء الله عذَّبه، وإن شاء عفا عنه وغفر له.

---

[١] انظر "المحرر الوجيز" ٤/ ٥٢، ٥٧.

[٢] في "تفسير" ٢/٢٠٨.

[٣] سورة الأنعام، الآيتان: ٢٧،٢٨.

[٤] سورة الزمر، الآيات: ٥٦-٥٨.

[٥] انظر "جامع البيان" ١٠٢/٨، "التفسير الكبير" ٨/١٠-٩، "الجامع لأحكـــام القـــرآن" ٩٣/٥، "البحر المحيط" ٢٠٢/٣.

قوله ﴿**أَعْتَدْنَا لَهُم**﴾ أي: أعددنا وهيَّأنا وجهَّزنا لهـــم، ومنـــه العتاد[١]، وهو ما يُعَدُّ للضَّيف، وما يعدُّه المسافر لسفره، ومنه العتيد قال تعالى: ﴿**وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ**﴾ [٢] أي: حاضر.

وقد عبَّر ﷻ عن نفسه بضمير العظمة «نا»، لأنه سبحانه هو العظيم ذو العظمة التامة.

قوله ﴿**عَذَابًا أَلِيمًا**﴾: أليمًا: "فعيلاً" بمعنى "مفعولاً" أي: مؤلمًـــا موجعًا غاية الإيلام والإيجاع[٣] حسيًّا ومعنويًّا.



[١] انظر "مجاز القرآن" ١٢٠/١، "جامع البيان" ١٠٣/٨.

[٢] سورة ق، آية: ٢٣.

[٣] انظر "جامع البيان" ١٠٣/٨، "معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٨/٢، "الجامع لأحكـــام القرآن" ٩٣/٥، "تفسير ابن كثير" ٢/ ٢٠٨.

الفوائد والأحكام:

١- فضل الله سبحانه وتعالى على عباده وامتنانــه علــيهم في إيجابه التوبة على نفسه والتزامه بها لهم لقوله: ﴿**إِنَّمَا التَّوبَــةُ عَلَــى اللهِ**﴾، فهو سبحانه الذي منَّ بالتوبة على من شاء من عباده، وهــو الذي قبلها منهم.

٢- إنَّ لله ﷻ أن يوجب على نفسه ما شاء، وهذا من كماله ﷻ لقوله تعالى:﴿**إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللهِ**﴾، كما قال تعالى: ﴿**كَتَــبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّــذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٢]..

وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَــنِ السَّيِّئَاتِ**﴾[٣]..

وقال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ**﴾[٤]..

وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٥].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار،

---

[١] سورة الأنعام، آية: ٥٤.

[٢] سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

[٣] سورة الشورى، آية: ٢٥.

[٤] سورة طه، آية: ٨٢.

[٥] سورة الروم، آية:٤٧.

فقال: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد وما حـــقُّ العبـــاد على الله؟**» قلت الله ورسوله أعلم، قال: «**حقُّ الله على عباده ألاَّ يُشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد على الله ألا يُعذِّب من لا يُشرِك به شيئًا**»[١].

فهو سبحانه الذي مَنَّ على من شاء من عباده فوفَّقهم للعمل، ومنَّ عليهم بقبوله منهم وإثابتهم عليه، ولهذا يسمي سبحانه جزاء الأعمال وثوابها «أَجْرًا»[٢]، كما يُسمي سبحانه الصدقة «قَرضًا»[٣] تَفضُّلاً وامتنانًا وإحسانًا، وأنه سبحانه ألزم نفسه بالثواب لمن عمل صالحًا، ولقد أحسن القائل[٤]:

مَا لِلعِبَادِ عَلَيْهِ حقٌّ وَاجِبُ	**كَلاَّ وَلاَ عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَـــائِعُ**
إنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا	**فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الكَرِيمُ الوَاسِعُ**

وأحسن من هذا قول ابن القيم في «النونية»[٥] مُضمِّنًا مقالـــه هذين البيتين، ومُبيِّنًا أنه لا واجب على الله للعابد إلا ما أوجبه على نفسه بفضله ومنه، وأنه لا يضيع لديه عملٌ اشتمل على الإخلاص

---

[١] أخرجه البخاري في الجهاد والســير ٢٨٥٦، ومســلم في الإيمــان ٣٠، والترمــذي في الإيمان٢٦٤٣، وابن ماجه في الزهد ٤٢٩٦، وانظر "التوسل والوسيلة" ص٥٥.

[٢] كقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُؤمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُم أجْرٌ عَظِيم**﴾ سورة آل عمران، الآيــة: ١٧٩، والآيات في هذا كثيرة جدًا.

[٣] كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ المصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَات وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾ سورة الحديد الآية ١٨، والآيات في هذا كثيرة.

[٤] انظر"الوابل الصيب" ص١٣٨، "شرح الطحاوية" ٢٩٦/١.

[٥] ص١٤٩-١٥٠.

لله والإحسان في المتابعة لرسول الله ﷺ[١]، قال ابن القيِّم:

ما للعباد عليه حــق واجــب	**هو أوجب الأجــر العظــيم**
كلا ولا عمل لديــه ضــائع	**إن كان بالإخلاص والإحسان**
إن عذبوا فبعدلــه أو نعمــوا	**فبفضله والفضــل للمنــان**

كما أنَّ له ﷻ على نفسه ما شاء، كما في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرَّمًا، لا تظالموا**»[٢].

فله ﷻ أن يُوجب على نفسه ما شاء، ويُحرِّم على نفسه مـا شاء، كما قال سبحانه: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[٣].

وليس للعباد أن يُوجبوا عليه شيئًا كما تقول المعتزلة ومن سلك مسلكهم في أنَّ قبول التوبة واجب على الله بطريق العقل، ويـرَون أنَّ الأعمال عوضٌ عن دخول الجنة، وأنَّ من عمل صالحًا وجـب على الله أن يُدخله الجنة بطريق العقل.[٤]

والصحيح عند أهل السُنة أنَّ العمل الصالح إنما هـو سـبب لدخول الجنة، ودخولها إنما هو برحمة الله الذي كتب على نفسـه الرحمة شرعًا وسمعًا، ولهذا قال ﷺ: «**لن يدخل أحـدكم الجنـة**

---

[١] كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّن أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٍ**﴾ سـورة النسـاء الآية: ١٢٥.

[٢] أخرجه مسلم في "البر والصلة" ٢٥٧٧، والترمذي في "صفة القيامة" ٢٤٩٥، وابن ماجة في "الزهد" ٤٢٥٧ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

[٣] سورة الأنبياء، آية: ٢٣.

[٤] أنظر "التفسير الكبير" ٣/١٠، "التوسل والوسيلة" ص٥٤، ٥٥.

بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رســـول الله؟ قـــال: «**ولا أنـــا إلا أن يتغمَّدني الله برحمةٍ منه وفضل**».[(١)]

وكيف يجب على الله واجبات لخلقه بطريق العقل، علمًا أنـــه ينبغي أن يكون الموجِب فوق الموجَب عليه، والله جلَّ وعلا فـــوق الجميع وربُّهم وخالقهم، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كـــبيرًا[(٢)].

٣- الترغيب في التوبة؛ لأنَّ الله أوجبها على نفسه، ويجب من اتَّصف بها، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِـــبُّ التَّـــوَّابِينَ وَيُحِـــبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[(٣)]..

وهي واجبة على جميع العباد، قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّـــهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[(٤)] [(٥)]..

وقال ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله، فوالله إني لأتوب إليه في اليوم مائة مرة**»[(٦)]..

---

(١) أخرجه البخاري في المرضى ٥٦٧٣، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار ٢٨١٦، وابـــن ماجة في الزهد ٤٢٠١ من حديث أبي هريرة ، وانظر "التوسل والوســـيلة" ص٥٤-٥٧.

(٢) انظر "التحرير الوجيز" ٤/ ٥٢-٥٤، "الجامع لأحكام القرآن" ٥/٩١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

(٥) انظر "المحرر الوجيز" ٥٢/٤، "الجامع لأحكـــام القـــرآن" ٩٠/٥، "مجمـــوع الفتـــاوى" ٤٠٣/١٥.

(٦) أخرجه مسلم في الذكر ٢٧٠٢ من حديث الأغر المزني .

وقال ﷺ: «**لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من أحدكم بضالته إذا وجدها بعد أن أيس منها وعليها طعامه وشرابه**»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [٢]: "كلُّ مؤمنٍ لابدَّ له من التوبة، ولا يكمل أحدٌ إلا بها".

وقال أيضًا: "وليست التوبة نقصًا، بـــل هـــي مـــن أفضـــل الكمالات، والله قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة والاستغفار، عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم".

وقد قيل: "ربَّ معصيةٍ أورثت ذلاً وانكسارًا خيرٌ من طاعـــة أورثت عزًّا واستكبارًا"[٣].

٤- إنَّ كلَّ عاملٍ للسوء فإنما يعمله بجهالةٍ وسفهٍ وعدم رشد، وإنَّ كلَّ ذنبٍ عُصِيَ الله به فهو جهالة، سواء كان فاعله عالمًـــا أو جاهلاً، ذاكرًا أو ناسيًا، مُتعمِّدًا أو مخطئًا، مختارًا أو مُكرَهًا، لقولـــه تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ**﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٤]: "فمن عصى الله فهو جاهل أيًّا كان، ومن أطاعه فهو عالم، ولهذا قال تعـــالى: ﴿**إِنَّمَـــا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾، فكلُّ عالمٍ يخشاه، فمن لم يخشَ الله

---

[١] أخرجه البخاري في الدعوات ٦٣٠٩، ومسلم في التوبة ٢٧٤٧ من حديث أنـــس رضي الله عنه، وأخرجه مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة وابن مسعود والنعمان بن بشير والـــبراء رضي الله عنهم ٢٦٧٥، ٢٧٤٤، ٢٧٤٦. وانظر "مدارج السالكين" ٢٤١/١،٢٤٠.

[٢] انظر "مجموع الفتاوى" ٥١/١٥-٥٥،٥٣-٥٧.

[٣] انظر "تفسير المنار" ٣٩٩/٥.

[٤] في "مجموع الفتاوى" ١٧٨/١٦-١٧٩.

فليس من العلماء، بل من الجهّال، قال ابن مسعود: "كفى بخشـــية الله عِلمًا، وكفى بالاغترار به جهلاً" وقال رجل للشـــعبي: أيهـــا العالم، فقال: إنما العالم من يخشى الله".

٥- إنَّ معاني الجهل هي السَّفه وعدم الرشد في الـــدين؛ لأنَّ المراد بقوله «بجهالة» بسفه وعدم رشد، كما قال تعالى: ﴿**وَمَـــنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَـــلُّوا وَمَـــا كَـــانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[2].

وليس معنى «الجهالة» في الآية الجهل ضدّ العلم؛ لأنَّ التوبـــة تُقبل ممن عمل السوء عالمًا بالإجماع[3]، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ يَـــا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّـــهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُـــوا إِلَـــى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَـــرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِـــنْ قَبْـــلِ أَنْ يَـــأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[4].

بل إنَّ من شرط المؤاخذة على الذنب كون مرتكبه عالمًا بأنـــه

---

[1] سورة البقرة، آية: ١٣٠.
[2] سورة الأنعام، آية: ١٤٠.
[3] انظر "التفسير الكبير" ٤/١٠.
[4] سورة الزمر، الآيات: ٥٣-٥٥.

ذنبٌ ومعصية؛ لأنَّ الجاهل غير مؤاخذ كما قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا**﴾..

وقال الله في الحديث القدسي: «**قد فعلت**»[1].

فإن كانت المعصية التي فعلها جهلاً أو خطأً من باب الإخلال بالمأمور فعليه أن يأتي بما أخلَّ أو بما يُجبره، فمن ترك التشهُّد الأول في الصلاة مثلاً فعليه أن يأتي به ما لم يستتمُّ قائمًا، وإلا جبره بسجود السهو، ومن أخلَّ بالطمأنينة في الصلاة فعليه أن يُعيدها بطمأنينة، كما قال ﷺ للمُسيء في صلاته: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تُصَل**»[2].

وإن كانت المعصية التي ارتكبها جهلاً أو خطأً من باب ارتكاب المحظور كحلق الشعر بالنسبة للمُحرِم فلا شيء عليه إلا في القتل خطأً فتلزمه الكفَّارة حقًّا لله تعالى، وإن كان غير آثم، كما يجب عليه التوبة .. وكذا كلُّ من عَمِل معصيةً من ترك مأمورٍ أو انتهاك محظور، وإن كان ذلك خطأً؛ وذلك لقوله في كفَّارة القتل الخطأ:

﴿**فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا**

[1] أخرجه مسلم في الإيمان ١٢٦، والترمذي في التفسير ٢٩٩٢ من حديث ابن عباس ﷺ.

[2] أخرجه البخاري في الأذن ٧٥٧، ومسلم في الصلاة ٣٩٧ من حديث أبي هريرة ﷺ.

حَكِيمًا﴾[١]..

أمَّا ما كان من حقوق الآدميين فلا يسقط بحال، بل يجب عليه أداؤه، وإن كان إتلافه له جهلاً منه أو خطأ[٢].

٦- وجوب المبادرة إلى التوبة لقوله: **﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾** أي: قبل حضور الموت .. فإذا كان الإنسان لا يدري متى يحضره الموت، ويفجأه الأجل؛ فالواجب عليه المبادرة بالتوبة حتى لا يأتيه الموت على غرَّةٍ وهو مُقيمٌ على المعصية.

قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل**».

وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[٣].

٧- إنَّ من شرط قبول التوبة أن يتوب الإنسان من قريب، أي في الحياة وقبل حضور الموت؛ وذلك لقوله: **﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾**، لكن ليس من شرط قبول التوبة أن تكون عقب الذنب مباشرةً؛ لأنَّ «ثُمَّ» للتراخي، لكن الواجب كما سبق المبادرة إليها.

٨- التحذير من الإصرار على المعصية والتسويف وتأخير

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٢.

(٢) انظر "مجموع الفتاوى" ١٨/٢٥٨، ٢٥٩.

(٣) أخرجه البخاري في "الرقاق" ٦٤١٦، والترمذي في "الزهد" ٢٣٣٣، وابن ماجة في "الزهد" ٤١١٤، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

التوبة؛ وذلك لقوله: ﴿**ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ**﴾؛ لأنَّ الإصرار عليها قد يكون سببًا لعدم توفيق للتوبة وعدم قبولها، ومُسبِّبًا لقسوة القلب وانطماس البصيرة والعياذ بالله، قال تعالى:

﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[١].

وفي الحديث: «**إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا نكتت في قلبه نكتـــة سوداء**»[٢].

والإصرار على الصغائر يجعلها كبائر.

قال عبد الله بن عباس ﷺ: "لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار"[٣].

وكما قيل:

لاَ تُحَقِّرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صَغِيرَةً إنَّ الصَّغِيرَ غَدًا يَكُونُ كَـــبِيرَا

وقال الآخر:

لاَ تُحَقِّـــــرَنَّ صَـــــغِيرَةً إنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَـــــــا[٤]

٩- إنَّ من تاب عن قرب عهد المعصية فهو أحرى من غـــيره

---

(١) سورة المطفِّفين، آية: ١٤.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير ٣٣٣٤، وابن ماجة في الزهد ٤٢٤٤، من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسنه الألباني. انظر "التعليق الترغيب" ٢/٢٦٨، ٤/٧٤، "صحيح ســنن ابــن ماجة" حديث٣٤٢٢.

(٣) أخرجه الطبري ٨/٢٤٥- الأثر ٩٢٠٧.

(٤) البيت لابن المعتز، انظر "ديوانه" ٢/٣٧٦.

بقبول التوبة، لقوله: ﴿**ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ**﴾.

١٠- قبول التوبة ممن تاب من قريب؛ لأنَّ الله حصر التوبـــة فيهم فقال:

﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّـــوءَ بِجَهَالَـــةٍ ثُـــمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ**﴾..

ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿**فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾.

١١- إثبات اسم الله تعالى «العليم» وما يدلُّ عليه من إثبـــات صفة العِلم التام الشامل لله ﷻ؛ وذلك لقوله ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا**﴾.

١٢- إثبات اسم الله تعالى «الحكيم» وما يدلُّ عليه من إثبات صفة الحُكم والحِكمة لله ﷻ: الحُكم الشرعي والكوني والجزائـــي، والحِكمة بقسمَيها: الغائية والصورية.

١٣- إنَّ الله ﷻ شرع لعبادة عن علم منه وحكمة، وذلـــك لضعفهم أمام نوازع الشر، ووفَّق بعلمه وحكمته للتوبة من شـــاء منهم، وخذل من شاء فلم يُوفِّقه لها لقوله: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا**﴾.

١٤- إنَّ الكمال في اجتماع العلم والحكمة؛ فالعلم وحده لا يكفي، بل قد يضرُّ إذا صاحَبه طيش وعجلة، والحكمة وحـــدها لا تكفي بدون العلم، بل قد تضرُّ إذا صاحَبها الجهل؛ ولهذا وصف الله ﷻ نفسه بأكمل الكمالين، وهو اجتماع العلم والحكمة، وكمال كلٍّ منهما وتمامه، فقال: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾.

١٥- بلوغ القرآن الكريم الغاية في الإيضاح والبيـــان؛ لأنَّ الله

ﷻ حصر التوبة في الذين يعملون السوء بجهالة، ثم يتوبـــون مـــن قريب، ومفهوم هذا أنَّ من استمرَّ على عمل السوء حتى حضـــره الموت ليس له توبة، وتوكيدًا لذلك وزيادة في البيان والإيضاح جاء التصريح بهذا المفهوم بقوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾.

١٦- إنَّ التوبة تنقطع بحضور الموت؛ وذلك لقولـــه تعـــالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾[1].

وقال ﷺ: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[2].

فالتوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا اختيار فلا تنفع صاحبها.

كما تنقطع التوبة بطلوع الشمس من مغربها كما قـــال ﷻ: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَـــتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾[3].

---

[1] وما جاء في حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة دخـــل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبيُّ ﷺ: «**أيّ عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**» الحديث أخرجه البخاري في التفســـير ٤٦٧٥، ومسلم في الإيمان ٢٤، والنسائي في الجنائز ٢٠٣٥، وأحمد ٤٣٣/٥. فالمراد بقوله: "لما حضرت أبا طالب الوفاة"، أي: قربت وفاته وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاينة وقبل النـــزع، ولهذا كان أبو طالب يُحاور النبي ﷺ، أمَّا بعد رؤية الملائكـــة والشـــروع في النـــزع فلا تُقبل التوبة .. انظر "شرح صحيح مسلم" ١/ ١٦٤.

[2] أخرجه الترمذي في الدعوات ٣٥٣٧، وابن ماجة في الزهد ٤٢٥٣ من حديث عبـــد الله بن عمر ﷺ وحسنه الألباني.

[3] سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

قال ابن القيم [١]: "وأمَّا إذا وقع في السياق فقال: إني تُبت الآن لم تُقبل توبته؛ ذلك لأنها توبة اضطرار لا اختيار، فهي كالتوبة بعد طلوع الشمس من مغربها ويوم القيامة وعند معاينة بأس الله"

فتجب المبادرة إلى التوبة والحذر من التسويف ما دامت التوبة مُمكنة وبابها مفتوحًا، قبل غلق الباب وطيِّ الكتاب، وهذا هو أحد شروط التوبة، وهو أن تكون في وقتها الذي تصحُّ فيه.



(١) في "مدارج السالكين" ١/ ٢٨٣، ٢٨٤ وانظر "مدارك التنزيل" ٣٠٢/١.

شروط التوبة

وشروط التوبة خمسة:

الشرط الأول:

الإخلاص لله تعالى، بأن تكون التوبة صادقةً نصوحًا، ابتغـــاء وجه الله وطلب مرضاته ومحبَّته والخوف من عذابـــه، لا ريـــاءً ولا سمعة، ولا خوفًا من مخلوق، ولا لغرض دنيويٍّ ونحو ذلـــك، قـــال تعالى: **﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾**(١).

والإخلاص شرط في جميع الأحوال، قال تعالى: **﴿مَـــنْ كَـــانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْـــرِكْ بِعِبَـــادَةِ رَبِّـــهِ أَحَدًا﴾**(٢).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشـــركاء عـــن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»(٣).

الشرط الثاني:

الإقلاع عن المعصية وتركها والبُعد عنها، فإن كان فيها حـــقٌّ لآدميٍّ من دمٍ أو مالٍ وغير ذلك وجب ردُّه إليه أو استحلاله منه، قال ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس**

(١) سورة التحريم، آية: ٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣)أخرجه مسلم في "الزهد" و"الرقائق" ٢٩٨٥، وابن ماجة في "الزهد" ٤٢٠٢ من حديث أبي هريرة ﷺ.

ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فـــإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئاته فطرحت عليه»[(١)].

وإن كان حقُّ عرض من غيبة استحلَّه منه إن أمكنه ذلـــك و لم يخشَ شرًّا بسبب ذلك، فإن لم يُمكنه ذلك أو خشي أن يحصل شرٌّ بسبب إعلامه بذلك، خاصة إذا عرف أنه لم يعلم بذلك استغفر الله له، وأثنى عليه بخيرٍ في المواضع التي اغتابه فيها.

ومن هنا يعلم أنَّ حقوق الآدميين لا يُعتبر شرطًا مستقلاً -كما يذكره بعض أهل العلم- بل إنه داخل ضمن شرط الإقلاع عـــن المعصية؛ إذ كيف يُعَد مُقلِعًا عن المعصية من كانت حقوق النـــاس عنده؟

فإن كان صاحب الحقِّ قد مات رُدَّ ذلك الحقِّ إلى ورثته، فإن لم يمكن ردُّه تصدَّق به عنهم واستغفر للميت.

ومن الإقلاع بالمعصية الاعتراف والإقرار، قـــال ﷺ لعائشـــة رضي الله عنها: «**إن كنت ألممت بشيء فأقري، فإنَّ الاعتـــراف توبة**»[(٢)].

الشرط الثالث:

الندم على فعل المعصية، بحيث يحسُّ بحرقةٍ وحـــزنٍ وأسًـــى في نفسه على ارتكابه هذه المعصية، ويودُّ أنه لم يفعـــل ذلـــك .. ولا

---

(١) أخرجه البخاري في "الرقاق" ٦٥٣٤ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير ٤٧٥٠.

يكون تائبًا من كان عديم المبالاة بما ارتكب من معصـــية الله، وفي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قـــال: «**النـــدم توبة**»[1].

الشرط الرابع:

العزم الأكيد في نفسه على ألاَّ يعود إلى تلك المعصية، بحيـــث يُصمِّم ويعزم على ألاَّ يرتكب تلك المعصية مرةً ثانية، فإن أضمر في نفسه أنه سيعود إليها فلا يُعَدُّ تائبًا؛ لأنَّ فعله هذا استهزاءٌ ومخادعةٌ لمن يعلم السر وأخفى..

لكنه لو تاب وعزم على ألاَّ يعود إلى المعصـــية لكـــن غلبـــه الشيطان وهواه ونفسه الأمَّارة بالسوء فعاود المعصية مرة ثانية فتوبته الأولى صحيحة، لكن عليه أن يُجدِّد التوبة من معاودته للمعصية .. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"إذا تاب العبد ثم عاد إلى الذنب قَبِل الله توبتـــه، ثم إذا عـــاد استحقَّ العقوبة، فإن تاب تاب الله عليه أيضًا، ولا يجوز لمســـلمٍ إذا تاب ثم عاد أن يصر، بل يتوب، ولو عاد في اليوم مائة مرَّة".

الشرط الخامس:

أن تكون التوبة في وقتها قبل حضور الموت وغلبة المرء علـــى نفسه وبلوغ الرُّوح الحلقوم وقبل طلوع الشمس من مغربها.

---

(1) أخرجه ابن ماجة ٤٢٥٢، وأحمد ١/ ٣٧٦ صححه أحمد شاكر برقم ٢٥٦٨ وصححه الألباني.

أمَّا الأول فلقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَــةُ لِلَّــذِينَ يَعْمَلُــونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾..

وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّــا باللَّــهِ وَحْــدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّــا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْــلِمِينَ * آلْــآنَ وَقَــدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

وقال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**»(٣).

وأمَّا الثاني وهو طلوع الشمس من مغربهـــا فلقولـــه ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حـــتى تطلـــع الشمس من مغربها**»(٤).

وقوله ﷺ: «**إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النـــهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٥).

وجعل بعض أهل العلم من شرط التوبة أن يتوب عن جميـــع

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٨٤، ٨٥.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو داود في الجهاد ٢٤٧٩، والدرامي في السير ٢٥١٣.

(٥) أخرجه مسلم في التوبة ٢٧٥٩ -من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

المعاصي؛ لأن هذا هو مقتضى تعظيم التائب لربِّه أن ينــزع عــن جميع المعاصي، وجعل بعضهم هذا شرطًا سادسًا من شروط التوبة، واستدلُّوا بقوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّــهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾(١).

وبقوله تعالى: **﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾**(٢).

وبقوله تعالى: **﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّــهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**(٣).

وقال بعضهم: إنما يُشترط للتوبة ألاَّ يصرَّ على ذنبٍ من جنس الذنب الذي تاب منه، فيُشترط فيمن تاب من الزنا أن يتوب عــن دواعيه من النظر المحرَّم والخلوة المحرَّمة واللمس المحرم ونحو ذلك، ولا يُشترط لها أن يتوب عمَّا ليس من جنسه، فتُقبل توبته عن الزنا وإن كان مرتكبًا لمعصية الإسبال مثلاً.

والصحيح أنَّ التوبة من ذنبٍ تُقبل وإن كان مُصِرًّا على غيره، خلافًا للمعتزلة الذين يقولون لا يُعتبر تائبًا من أقام علــى ذنــب؛ وذلك لأنَّ من تاب من ذنبٍ يُقال له "تائب"، ومن عدل الله عــزَّ وجلَّ أن يُجازيه على توبته من ذلك الذنب، كما قال تعالى: **﴿فَمَنْ**

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٩.

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]..

لكن لا يستحق الوصف بالتوبة المطلقة إلاَّ من تاب من جميـــع الذنوب وأصلح جميع أعماله، فهذا هو التائب التوبة المطلقـــة مـــن جميع الذنوب[2].

١٧- إنَّ جميع إقرارات المحتضر على نفسه أو ماله وتبرعاتـــه وسائر تصرفاته في هذه الحال لا اعتبار لها؛ وذلك لقوله: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾**..

فلو تصدَّق في هذه الحال لم ينفعه ذلك بل ولا تنفذ صدقته إلا بإجازة الورثة قال تعالى: **﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْـــلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَـــلٍ قَرِيـــبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**[3].

وقال ﷺ: «**خير الصدقة أن تتصدَّق وأنت صحيحٌ شـــحيحٌ تأمل البقاء وتخشى الفقر، ولا تهمل حـــتى إذا بلغـــت الـــرُوح الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان**»[1].

([1]) سورة الزلزلة الآيتان: ٧-٨.

([2]) انظر «المحرر الوجيز» ٥٢/٤، «الجامع لأحكام القرآن» ٩١/٥، «الاختيارات الفقهيـــة» ص٢٩٧، «مجموع الفتاوى» ٥٨/١٦، «مدارج الســـالكين» ١/ ٢١٢، ٣٠٦-٣١٠، ٣٢٥-٣٢٦، ٣٤٢-٣٤٣،٣٧٥، ٤٢٩،٤٣٤، «تفسير ابن كثير» ٣٦٤/٧، «شـــرح الطحاوية» ٤٥١/٢، وانظر كلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين على هـــذه الآيـــة في دروس التفسير.

([3]) سورة المنافقون، آية: ١٠.

([1]) أخرجه البخاري في الزكاة ١٤١٩، ومسلم في الزكاة ١٠٣٢، وأبـــو داود في الوصـــايا =

١٨- إنَّ الذين يموتون وهم كفار لا توبة لهـــم ولا يـــنفعهم ندمهم يوم القيامة؛ وذلك لقوله:﴿ **وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾.

١٩- تيئيس من يحضرهم الموت وهم مُصرُّون علـــى عمـــل السيئات في عدم قبول توبتهم، وذلك بقرنهم مع الذين يموتون وهم كفار، مع أنَّ هؤلاء ماتوا على الكفر ولا توبة لهم.

٢٠- إنَّ النار موجودة الآن، لقوله «أعتـــدنا» أي: أعـــددنا وهيَّأنا، خلافًا لمن قال إنها لم تخلق بعد[1].

٢١- إنَّ الله أعدَّ للذين يموتون وهم كفار عذابًا مؤلمًا موجعًـــا حسِّـــيًّا ومعنويًّا، لقوله: ﴿ **أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾.

٢٢- تعظيم الله عزَّ وجل لنفسه لقوله: ﴿**أَعْتَـــدْنَا**﴾ بضـــمير العظمة «**نا**».

٢٣- إنَّ أهل النار المعذَّبين بها يتألَّمون على الدوام بما فيها من العذاب ألمًا حسيًّا ومعنويًّا لقوله ﴿**عَذَابًا أَلِيمًا**﴾.

وفي هذا إبطال لقول من يقـــول إنهـــم يكونـــون جهنَّمـــيين ويتكيَّفون فيها ويتأقلمون، فلا يضرُّهم حرُّها ولا يُحِسُّـــون بـــألم العذاب فيها، أو تكون طبيعتهم طبيعة ناريـــة فيتلـــذَّذون بالنـــار لموافقتها لطبعهم[1].

=

١٨٦٥، والنسائي في الزكاة ٢٥٤٢، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(1) انظر «التفسير الكبير» ١٠/٩، «شرح الطحاوية» ٦١٤/٢ وما بعدها.

(1) انظر «شرح الطحاوية» ٦٢٤/٢-٦٢٥. وانظر كلام الشيخ محمد بن صـــالح العثـــيمين على هذه الآية في دروس التفسير.

قال تعالى: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَـــا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾[1].

وقال تعالى﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[2].

وقال تعالى ﴿ **لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾[3].

* * *

---

(1) سورة النسا، آية: ٥٦.

(2) سورة المائدة، آية: ٣٧، وسورة التوبة، آية: ٦٨.

(3) سورة الزخرف، آية: ٧٥.

الخـــــاتمة

الحمد لله الذي بمنّه وفضله تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .. أمَّا بعد:

فمن خلال هذا البحث الموجز في موضوع التوبة وشروطها من خلال قول الله عزَّ وجل في سورة النساء ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَـــى اللَّهِ**﴾ الآية، والآية بعدها ظهرت لنا النتائج التالية:

أ- فضل الله عزَّ وجل على عباده في إيجابه التوبة على نفسه منَّةٌ منه وتكرمًا، وأنه سبحانه يُوجب على نفسه ما شاء.

ب- الترغيب في التوبة، بل ووجوبها على العباد.

ج- إنَّ كلَّ عاملٍ للسوء إنما يعمله بجهالةٍ وسفهٍ وعدم رشد، وإنَّ كلَّ ذنبٍ عُصِيَ الله به فهو جهالة، أيًّا كانت حال فاعله.

د- وجوب المبادرة إلى التوبة، وأنَّ من شرط قَبولها أن يتـــوب الإنسان من قريبٍ في الحياة قبل بلوغ الرُّوح الحلقوم، والتحذير من الإصرار على المعصية وتأخير التوبة؛ لأنَّ الإصرار على المعصية قـــد يكون سببًا لعدم التوبة أو عدم قَبولها.

هـــ- علم الله التام وحكمته البالغة، ولهذا شـــرع ســـبحانه وتعالى التوبة لعباده.

إلى غير ذلك من النتائج التي تظهر جلية خلال هذا البحث.

والله أسأل أن يُوفِّق الجميع لِما يُحبُّه ويرضاه، إنه وليُّ ذلـــك والقادر عليه، وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع

– «الاختيارات الفقهية» لابن تيمية م ٧٢٨هـ – تحقيق محمد حامد الفقي.

– «البحر» لأبي حيان الأندلسي م ٧٥٤هـ – مكتبة النصر الحديثة الرياض.

– «بدائع الفوائد» لابن القيم م٧١٥هـ – دار الفكر للطباعة للطباعة والنشر والتوزيع.

– «التسهيل لعلوم التنزيل»، لابن جزيّ الكلبي – الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ – ١٩٧٣ – دار الكتاب العربي – ببيروت.

– «تفسير القرآن»، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله م ١٤٢١هـ – مخطوط.

– «تفسير القرآن الحكيم» (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا – طبعة ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، دار المعرفة ببيروت.

– «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير م ٧٧٤هـ – طبعة دار الشعب – مصر.

– «التفسير الكبير» للرازي م ٦٠٤هـ – الطبعة الأولى ١٤١١هـ –١٩٩٠م – بيروت.

– تيسير الكريم الرحمن للسعدي م ١٣٧٦هـ تحقيق محمد زهدي النجار – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٩٨م.

– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م ٦٧١هـــــ – طبعـــة ١٣٨٧هـــ ١٩٦٧م.

– «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – م٣١٠هــ تحقيق شاكر – طبعة دار المعارف – والطبعة الثالثة ١٣٨٨هـــ-١٩٦٨م – مصطفى البابي الحلـــبي وأولاده بمصر.

– «الجامع الصغير» للسيوطي م٩١١هـــ – الطبعـــة الأولى ١٤٠١هـــ- ١٩٨١م – دار الفكر.

– «حلية الأولياء» لأبي نعيم م ٤٣٠هـــ – الطبعة الرابعـــة ١٤٠٥هـــ – دار الكتاب العربي – بيروت.

– «دقائق التفسير» لابن تيمية – تحقيق محمد السيد الجليد لابن تيمية – تحقيق محمد الســـيد الجليـــد – الطبعـــة الثانيـــة ١٤٠٤هـــ- ١٩٨٤م، مؤسسة علوم القرآن.

– «ديوان ابن المعتز» تحقيق محمد بديع شريف – طبـــع دار المعارف بمصر.

– «ديوان محمود الوراق» جمع وتحقيق د/ وليـــد قصـــاب الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ.

– «سُنن ابن ماجة» م ٢٧٥هـــ تحقيق محمد فـــؤاد عبـــد الباقي طبعة ١٣٧٢هـــ- ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربيـــة لعيسى البابي الحلبي.

– «سُنن أبي داود» م٢٧٥هـ تعليق عزت الدعاس الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

– «سُنن الترمذي» م ٢٧٩هـ تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة الإسلامية.

– «سُنن الدرامي» م٢٥٥هـ، دار الكتب العلمية ببيروت – لبنان.

– «سُنن النسائي» م٣٠٣هـ، تحقيق أبي غدة – الطبعة الرابعة – نشر دار البشائر الإسلامية.

– «شرح ابن عيسى للنونية» – نشر المكتب الإسلامية ببيروت.

– «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الدمشقي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة.

– «شعب الإيمان للبيهقي» م ٤٥٨ه الطبعة الأولى ١٤١٠ه، دار الكتب العلمية ببيروت.

– «صحيح البخاري مع فتح الباري» تصحيح وتحقيق بإشراف الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز رئاسة البحوث العملية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

– «صحيح الجامع الصغير» للسيوطي م ٩١١ تحقيق الألباني، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ، نشر المكتب الإسلامي.

– «صحيح مسلم» م ٢٦١هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م دار الفكر العربي ببيروت.

- «الكشاف» للزمخشري م ٥٣٨ هـ - دار المعرفة ببيروت.

- «مجاز القرآن لأبي عبيدة» م ٢١٠هـ الطبعة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

- «المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي م ٥٤٦هـ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

- «مدارج السالكين» لابن القيم م ٧٥١هـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م، دار الجيل ببيروت.

- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» للنسفي م ٧٠١هـ المكتبة الأموية -ببيروت- دمشق.

- «المستدرك» للحاكم النيسابوري- م ٤٠٥هـ، نشر دار الفكر، وطبعة ١٤١١هـ، تحقيق عبد القادر عطا - نشر دار الكتب العلمية.

- «مسند الإمام أحمد» الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، المكتب الإسلامي ببيروت.

- «معالم التنزيل» للبغوي م ٥١٦هـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، دار المعرفة ببيروت.

– معاني القرآن وإعرابه للزجاج منشورات المكتبة العصرية –صيدا– ببيروت.

– «النكت والعيون» للمساوردي م ٤٥٠هـ تحقيق خضر محمد الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

– «النونية» لابن القيم م ٧٥١هـ، طبعة سنة ١٣٤٤هـ، مطبعة التقدم العلمية بمصر.

– «الوابل الصيب» لابن القيم، ٧٥١هـ، تحقيق وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.



الفهـــــرس

